حوارات مستقبل
الشرق الأوسط

الحلقة الرابعة والعشرون

وسط عالم يموج بالتحولات السياسية والاقتصادية، وفى ظل الصراعات المتزايدة التى تهز منطقة الشرق الأوسط، التى تعيش واقعًا معقدًا، بعد أكثر من عام على حرب الإبادة فى قطاع غزة دونما آفاق واضحة لإنهائها، مع تمدد النزاع إلى جنوب لبنان، ووصول أصدائه إلى اليمن والعراق، ثم إيران، نطرح فى سلسلتنا «مستقبل الشرق الأوسط» مسارات منطقتنا، عبر حوارات مع نخبة من الساسة والمنظرين والمفكرين والدبلوماسيين الحاليين والسابقين من مختلف الأطراف الاقليمية والدولية، لتقديم رؤاهم مستندين إلى تجارب الماضى ودروس الحاضر، لنستشرف معًا الطريق نحو المستقبل.

وانطلاقًا من جذور الصراع العربى الإسرائيلى، مرورًا بالتدخلات الأقليمية وصعود بعض القوى الجديدة كالفواعل من غير الدول، وتعقد المشهد العربى، نفتح معًا أبواب نقاش مستنير حول الدروس المستفادة من التاريخ وتأثيرها على مستقبل منطقتنا، لطرح رؤى وأفكار لاستشراف الغد والدور الحاسم الذى يمكن أن تلعبه الدول العربية إذا ما أعادت إحياء روابط تاريخية فى محيطها والدفع نحو استقرار مستدام وتحقيق مصالحها.

تنقسم محاور النقاش إلى جزأين، الأول أسئلة سبعة ثابتة، اعتمدناها بناء على طلب كثير من القراء، تتمركز حول مستقبل المنطقة، أما الثانى فيتضمن أسئلة تُنتجه نحو مساحات تتناسب مع خلفية الضيف صاحب الحوار، كى يضيف لنا أبعادا أخرى حول الرؤية التى تنتهى إليها الحوارات وصولا إلى كيف يمكن أن يكون للمنطقة مشروعها الخاص، بعيدا عن أى مخططات تستهدفها؟.

أستاذ العلاقات الدولية وتاريخ الشرق الأوسط بجامعة شنغهاى الدكتور دينج لونج لـ «المصري اليوم»:

العرب تخلوا عن القومية لصالح القُطرية فطمعت إسرائيل وأصبحت أكثر جرأة

معظم الدول العربية تركز على الاقتصاد وتنأى بنفسها عن النزاعات بما فيها الصراع الفلسطينى الإسرائيلى

ترامب يعرقل جهود حل الدولتين ويساعد إسرائيل فى حملتها التوسعية بالمنطقة

مصر تتمتع بوزن سياسى كبير وتلعب دوراً مهماً فى تعزيز السلام والاستقرار

د. دينج لونج يتحدث لـ المصرى اليوم.

أكد أستاذ العلاقات الدولية وتاريخ الشرق الأوسط بجامعة شنغهاى، الدكتور دينج لونج، أن الشرق الأوسط يشهد حاليا مرحلة جديدة من الاضطرابات، ويعتبر منطقة للتنافس الاستراتيجى العالمى، موضحا فى حوار لـ«المصرى اليوم»، أن مصر دولة كبيرة وقوية وقادرة على تقرير مصيرها وحماية مصالح مواطنيها، فى ظل الأزمات التى تعيشها المنطقة، كما أنها تعتبر القوة الرئيسية فى العالم العربى والشرق الأوسط، حيث تلعب دورا مهما فى تعزيز السلام والاستقرار، فيما أشاد بدور السعوديين كونهم يرغبون أن يكونوا أحد اللاعبين فى لعبة القوى العظمى العالمية.

وحول الأوضاع فى سوريا، قال إنها تعتبر آخر حلقة فى مسلسل «الربيع العربى»، لكنها ستصبح ساحة مفتوحة للصراعات الداخلية والتدخلات الخارجية، وستنتجه السلطات الجديدة نحو الغرب وتركيا، مبتعدة عن إيران وروسيا، ما يؤدى إلى إعادة تشكيل النظام الجيوسياسى فى الشرق الأوسط.. وبالنسبة للأحداث فى غزة، قال إن الرئيس الأمريكى دونالد ترامب سيساعد إسرائيل فى حملتها التوسعية، وتعزيز موقعها فى خريطة الشرق الأوسط، وسيعرقل جهود «حل الدولتين»، كما يقوم بالضغط على إيران بتشديد العقوبات وتضييق الخناق على «محور المقاومة»، مؤكدا أن تل أبيب لا يمكنها القضاء على حركة «حماس».. وإلى نص الحوار.

حوار - خالد الشامى

■ مصطلح الشرق الأوسط هو تعبير جغرافى استعمارى.. لكنه صار المصطلح السائد للحديث عن المنطقة، التى تضم الدول العربية وإيران وتركيا ودولا أخرى، وعادت المنطقة على مدار التاريخ من صراعات على خلفيات متعددة، تجذرت من مخططات الاستعمار حتى باتت بقعة ملتهبة دائما على خريطة العالم.. برأيك كيف ترى واقع المنطقة وأثر التاريخ فى هذا الأمر؟

– الشرق الأوسط يعد مصطلحا وليدا حديث العهد نسبيا، وهو عبارة عن إرث الإمبراطوريات فى المنطقة وعدوان الاستعمار عليها، باعتبارها واحدة من أقدم الحضارات الإنسانية، تعاقبت سلسلة من الإمبراطوريات فى حكم المنطقة، الذى كان له تأثير عميق على الواقع الجيوسياسى الذى تعيشه المنطقة، ونشأت على أطلال الإمبراطوريات صراعات بين القوى الرئيسية فى المنطقة، ولا يزال الإرث التاريخى للتنافس الإمبراطورى قائما بشكل أو بآخر حتى اليوم، وترك الإرث التاريخى للاستعمار شروخا عميقة فى النظام الجيوسياسى فى المنطقة، ونشأت الكثير من الدول المصطنعة فى الشرق الأوسط، ولا يكمن الأثر العميق للاستعمار على الشرق الأوسط فى تفكيك نظام الدولة القومية الذى فرضته الإمبراطورية العثمانية على المنطقة فحسب، بل فى تدفق مفاهيم وأفكار ومؤسسات الحداثة الأخرى ذات المنشأ الغربى أيضاً، والتى برزت من خلال التأثير العميق لصدام أفكار القومية والعلمانية والتيار الفكرى الدينى على الشرق الأوسط.

ونظام الدولة القومية فى الشرق الأوسط تشكّل فى أعقاب تفكك الإمبراطورية العثمانية على يد الاستعمار بعد الحرب العالمية الأولى، كما أن العوامل الخارجية ساهمت فى تشكيل نظام الدول القومية، بالإضافة إلى وجود عدد كبير من التنظيمات التقليدية، مثل القبائل والطوائف والمجموعات العرقية داخل الدولة الواحدة، جعلت بناء الدولة القومية فى الشرق الأوسط صعبًا بشكل استثنائى، مع نقص خطير فى قدرات الحكم الوطنى، وخلال فترة الربيع العربى، شهدت العديد من الجمهوريات العربية تغيرات فى أنظمة الحكم وكانت سوريا آخر حلقة لهذا المسلسل، فى حين تواجه الدول الملكية التى نجت من الثورات ضغوطا كبيرة فى التحول الاقتصادى والسياسى.

■ برز مصطلح «الشرق الأوسط» فى كتابات الأمريكى الفريد ماهان عام ١٩٠٢ قبل أن تتحدث كوندوليزا رايس عن «الشرق الأوسط الجديد».. وهو ما يتردد بقوة حاليًا فى ظل الحرب الإسرائيلية على غزة ولبنان والصراع مع إيران.. كيف ترى ذلك فى الولايات المتحدة؟

– دونالد ترامب قدم دعما فى ولايته السابقة لإسرائيل بشكل غير مسبوق، واتخذ سلسلة من الخطوات التى تجاوزت الخط الأحمر، مثل نقل السفارات، والاعتراف بشرعية المستوطنات، وتوقيع الاتفاقات الإبراهيمية، وإطلاق «صفقة القرن»، ومن المتوقع أن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ستتمحور حول ترامب بتقديم دعم لا حدود له وغير مشروط لإسرائيل، ستكون أكثر انحيازًا لـ «تل أبيب»، مما يعرقل جهود المجتمع الدولى لحل القضية الفلسطينية وفقًا لحل الدولتين، وبذل جهود أكبر لتحقيق تطبيع العلاقات بين السعودية وإسرائيل، وهذا من شأنه إضعاف إرادة وقدرة العالم العربى على التوحد بشأن القضية الفلسطينية، وتقوم إدارة ترامب بالضغط على إيران بتشديد العقوبات عليها وتضييق الخناق على ما يسمى بـ«محور المقاومة»، وهى شبكة من وكلاء طهران فى المنطقة العربية وستحاول تشكيل تحالف إقليمى مناهض لإيران، وستساعد إدارة ترامب إسرائيل، أيضا فى حملتها التوسعية فى الضفة الغربية وسوريا وأماكن أخرى فى الوطن العربى، وتعزيز موقع إسرائيل فى خريطة الشرق الأوسط الجديد، وستقلل الولايات المتحدة من المغامرات العسكرية فى المنطقة، والتركيز على تحقيق المكاسب الاقتصادية، وهو ما يميز سياسة إدارة ترامب بخصائص الأحادية والبراجماتية، كرجل أعمال وسياسى غير تقليدى، فيما تتميز سياسة ترامب بالأسلوب الشخصى الذى يفضل المجازفة والتعسف على العقلانية والحذر، وأكثر حرصا على المصالح الاقتصادية.

■ برأيك ماذا تفعل القوى الإقليمية الكبرى فى المنطقة إزاء هذه المخططات.. وبالتحديد مصر والسعودية بوصفهما الدولتين الكبيرتين فى المنطقة؟

– المملكة العربية السعودية اغتنمت التغيرات الجديدة فى هيكل القوى العالمية والإقليمية، وحافظت على التوازن الديناميكى بين القوى الكبرى، وترسيم سياساتها الخارجية على حسب اختلاف القضايا والأوضاع والتوقيت، وعلى سبيل المثال، فى قضية أسعار النفط، حيث إن السعودية وروسيا أكبر مصدرين للنفط الخام فى العالم، والولايات المتحدة أكبر مستهلك للنفط فى العالم، وفى القضايا الاقتصادية، الصين أكبر شريك تجارى للسعودية، حيث إن الرياض وبكين أقرب، وفى القضية الأمنية لا تزال الولايات المتحدة أكبر مزود للأمن فى السعودية، بمعنى أن علاقة المملكة العربية السعودية مع القوى الكبرى فى العالم تعتمد إلى حد كبير على مصالحها الخاصة، وهو ما يعرف بدبلوماسية «التوازن الشديد»، فالسعوديون لا يريدون فقط تعظيم مصالحهم الخاصة، بل يريدون أيضًا أن يجعلوا أنفسهم أحد اللاعبين فى لعبة القوى العظمى العالمية.

أما مصر، فهى دولة كبيرة تاريخيا وجغرافيا ولها مكانة سواء على منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا والمنطقة العربية، وتحرص مصر على أن تكون دولة قوية بناء على الاستقلالية الاستراتيجية وقادرة على تقرير مصيرها وحماية مصالح مواطنيها فى ظل الأزمات التى تعيشها المنطقة.

■ يغيب أى مشروع عربى موحد تجاه ما يُخطط للمنطقة، خاصة مستهدفات التوسع الإسرائيلى التى ظهرت واضحة فى غزة ولبنان وسوريا، والحديث عن نية ضم أراض أخرى على الخريطة العربية هو التوجه الذى ترجمه «ترامب» عند حديثه عن إسرائيل الصغيرة التى يجب أن تتمدد.. كيف يصوغ العرب مشروعهم المواجه لهذه المخططات؟

– العالم العربى يُعانى من التشتت والانقسام منذ زمن بعيد، وهو يعيش تداعيات الصراع بين القوى الكبرى وتحت الهيمنة الأمريكية منذ انتهاء الحرب الباردة، وتستغل إسرائيل الواقع العربى والدعم الأمريكى لفرض أجندتها على المنطقة، وتركز معظم الدول العربية على التنمية الاقتصادية وتحقيق التحول الاقتصادى حيث باتت الأجندة الداخلية أولوياتها فى الوقت الحالى، لذلك تنأى بنفسها عن النزاعات الإقليمية بما فيها الصراع الفلسطينى الإسرائيلى، حيث حلت القومية الجهوية أو القُطرية الأيدولوجيا السائدة فى الدول العربية محل القومية العربية، لذلك من الصعب إن لم يكن مستحيلا إعادة توحيد الصف العربى أمام الطمع الاسرائيلى وأمام الصمت العربى، ومن المتوقع أن تصبح إسرائيل أكثر جرأة دون الخوف من تداعيات سلوكها.

■ على مدار التاريخ لعبت مصر أدوارًا رئيسية فى المنطقة.. كيف يمكن لها أن تدارسها رغم التحديات المحيطة بهذه الأدوار والاستهداف الدائم لها؟

– مصر تتمتع بموقع جغرافى استراتيجى مميز، كما تتمتع بوزن سياسى كبير فى المنطقة، بحيث تلعب دورا مهما إقليميا ودوليا فى الحرب والسلام، وقد لعبت مصر دورًا مهما فى تعزيز السلام والاستقرار والتنمية الاقتصادية فى الشرق الأوسط وأصبحت قوة إقليمية مهمة، وفى أزمات غزة ولبنان وسوريا بذلت مصر جهودا حثيثة فى الوساطة وأسهمت فى تهدئة الوضع، والجميع يشهد لجهودها فى الضغط بوقف الحرب الدامية على قطاع غزة.

■ كيف تستفيد المنطقة العربية من تجاذبات القوى الكبرى وأحاديث التعددية القطبية العالمية؟.. وكيف تلعب دورًا لصالحها فى هذا التنافس الدولى ولا تكون مقدراتها فى يد قوة واحدة أخرت بها واستنزفت ثرواتها طوال عقود؟

– الأهمية الاستراتيجية، التى توليها القوى الكبرى للشرق الأوسط، ازداد حجمها، واشتد التنافس على الشرق الأوسط، الذى أصبح «المنطقة الوسطى»، للتنافس الاستراتيجى العالمى، واستفادت المنطقة العربية من تجاذبات القوى الكبرى حيث لم تصطف مع معسكر معين إنما تحدد علاقاتها مع القوى الكبرى حسب مصالحها الوطنية واحتياجاتها الاستراتيجية ووفقا لمواضيع مختلفة، فقد تعززت الاستقلالية الاستراتيجية للدول العربية بشكل ملحوظ فى ظل تفاقم الأزمات الاقليمية والدولية وباتت طرفا تقبل عليه القوى الكبرى، ما يمنح أهمية وثقلا للدول العربية، وزادت الثقة بالذات.

■ لو قدر لك أن ترسم صورة المستقبل لهذه المنطقة فى ظل الصراعات الحالية والمخاطر المحيطة بها.. كيف ترى هذا السيناريوهات تفصيلا؟

– الشرق الأوسط يشهد مرحلة جديدة من الاضطراب والتغير حيث اشتدت الصراعات بين إسرائيل وقوى المقاومة، وتم إضعاف إيران ووكلائها بشكل كبير، وفى الفترة القادمة، ستتصرف إسرائيل بهامش أكبر من الحرية بالدعم الأمريكى، وستواجه طهران ضغوطا أكبر تمارس عليها من إسرائيل والولايات المتحدة، ومن جهة أخرى، تركز الدول العربية على التنمية والتحول الاقتصادى وتبتعد عن الصراعات الاقليمية مما ترك مجالا أكبر للاعبين الآخرين مثل تركيا، وستصبح سوريا ساحة مفتوحة للصراعات الداخلية والتدخلات الخارجية، وستنتجه السلطات السورية الجديدة نحو الغرب وتركيا، وتبتعد عن إيران وروسيا ما يؤدى إلى إعادة تشكيل النظام الجيوسياسى فى الشرق الأوسط.

■ الحرب على قطاع غزة مستمرة منذ نحو ١٩ شهرا، كيف تراها وما رؤية بلادكم للحل؟ وكيف ترى دور مصر فى هذه القضية المحورية؟

– مصر بذلت ولا تزال تبذل أقصى جهودها لوقف إطلاق النار فى قطاع غزة، الذى يشهد دمارا كبيرا وأزمة إنسانية غير مسبوقة، فمنذ اندلاع الحرب على قطاع غزة فى ٧ أكتوبر عام ٢٠٢٣، والقاهرة تدعو العالم كله للضغط على إسرائيل لوقف الحرب، ومصر القوة الرئيسية فى العالم العربى والشرق الأوسط، داعمة للسلام، وتؤيد حل الدولتين، وتتفق معها الصين فى هذا الصدد، الداعى لضرورة حل الصراع الفلسطينى- الإسرائيلى على أساس «حل الدولتين»، وتسوية النزاع من خلال الوسائل السياسية والدبلوماسية، ودعوة جميع الأطراف لوقف إطلاق النار وبدء الحوار وعودة حماية السكان المدنيين، لكن إسرائيل لا تدرك أن قضية فلسطين حلها سياسى دبلوماسى، وليس بالقوة أو العنف المفرط كما هو الوضع القائم، فحل الدولتين يحظى بتأييد المجتمع الدولى، وفى المقابل هناك ضرورة لتحقيق وحدة فلسطينية- فلسطينية، وهو ما دعمته الصين من خلال «إعلان بكين» فى ٢٣ يوليو عام ٢٠٢٤، وفى المقابل يجب على تل أبيب أن تتأكد أنها لا تستطيع القضاء على حركة «حماس» أو روح المقاومة لدى الشعب الفلسطينى، الذى لا يزال يعانى سواء فى غزة أو الضفة الغربية والقدس، وسبق أن أكد الرئيس الصينى شى جين بينج، أن الصراع الفلسطينى- الإسرائيلى تصاعد بقوة، وقد تسبب فى معاناة هائلة للشعب الفلسطينى، وأن العدالة يجب ألا تغيب إلى الأبد، والالتزام بحل الدولتين، وهو ما يتفق مع رؤية مصر ممثلة فى الرئيس عبدالفتاح السيسى، وكذلك ما طرحه الرئيس الصينى شى جين بينج، هو الحل الأمثل للقضية الفلسطينية الصعبة منذ عدة عقود، عبر إقامة دولة فلسطينية ذات سيادة مستقلة على حدود عام ١٩٦٧، بالإضافة إلى تلبية الاحتياجات الاقتصادية والمعيشية لفلسطين، وعقد مؤتمر سلام دولى واسع النطاق لتهيئة الظروف لاستئناف محادثات السلام حتى تهدأ منطقة الشرق الأوسط ويعيش الفلسطينيون بجانب الإسرائيليين فى سلام، ولاتزال يكين تدعو لرفض محاولات التهجير القسرى للفلسطينيين، كما تدعو لاحترام المؤسسات الإنسانية، فما حدث من حرق للمستشفيات وقتل رجال الإسعاف من قبل عناصر الاحتلال الإسرائيلى فى غزة، أمر غير مقبول وغير إنسانى، ويجب على المنظمات الدولية ممثلة فى الصحة العالمية، الوقوف لمنع تكرار مثل هذه الجرائم، كما أن هناك ضرورة لضمان أمن منشآت الأمم المتحدة، لذلك يجب الضغط على تل أبيب لضمان تدفق المساعدات الإغاثية إلى كامل قطاع غزة ووقف الحرب، والتأكد أن السلام والأمن والاستقرار فى المنطقة لن يتحقق إلا بإنهاء الاحتلال لأرض دولة فلسطين.

■ كيف ترى العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين، خاصة فى ظل التعريفات الجمركية الجديدة؟

– الرئيس الأمريكى دونالد ترامب اقترح سياسات حمائية، ومع زيادة الاحتكاك التجارى بين بكين وواشنطن، ورفع التعريفات الجمركية على الواردات الصينية، ما دفع الشركات الأمريكية للبحث عن موردين جدد وتخطيط سلسلة التوريد، وقد تؤدى تلك التعديلات لارتفاع تكاليف سلسلة التوريد، وسياسات ترامب تزيد من تفاقم الوضع التنافسى التكنولوجى، وكل هذا قد يؤدى إلى تصعيد التوترات الاقليمية أو إلى جولة جديدة من التكيف فى العلاقات الثنائية بين البلدين، كما أن الحكومة الصينية تتخذ التدابير المناسبة للتعامل مع تغير البيئة الخارجية، للحفاظ على المصالح الوطنية والشعب الصينى، وترامب قد يستمر فى دفع المفاوضات بشأن الاتفاقات الاقتصادية والتجارية مع الصين، حيث إنه معروف أنه تاجر سياسى يركز على حل مشاكل محددة، وقد يختار المفاوضات بشأن القضايا الاقتصادية لضمان مصالح الولايات المتحدة، وترامب ليس سياسيا تقليديا فهو يهتم بالمصالح الاقتصادية ويضع أمريكا ومصالحها فى المقام الأول، وقد رأينا تصريحاته عن تطبيق سياسة التمييز ضد المهاجرين، واعتزامه إعادتهم، فهو براجماتى وحريص على تحقيق مكاسب اقتصادية ومالية بدلا من النفوذ السياسى العسكرى، وفى المقابل هناك مجموعة «بريكس»، التى تلعب دورا متناميا فى التنمية الاقتصادية فى العالم، فى حين أن واشنطن تعتبرها تحالفا معاديا لها، خاصة أن بعض مناقسيها قد انضموا إلى هذا التكتل الاقتصادى.

وواشنطن تتصرف بشكل أحادى، بعدما فرضت تعريفات جمركية تصفية على أكثر من ١٨٠ دولة، وهو ما يعد انتهاكا للحقوق والمصالح المشروعة للدول، لذلك يكن اتخذت التدابير اللازمة ليس فقط للدفاع عن حقوقها ومصالحها، بل وحماية القواعد الدولية.

السعوديون يريدون تعظيم مصالحهم والدخول فى لعبة القوى العظمى العالمية

إسرائيل لن تستطيع القضاء على حماس وردع المقاومة.. وحل الدولتين هو السبيل الوحيد

دمشق ستصبح ساحة مفتوحة للصراعات الداخلية والتدخلات الخارجية